الحضرية الجديدة لمدينة ورقلة – دراسة أنثروبولوجية –

The new urbanization of the city of Ouargla an anthropological study

د بوجراف بلال[1]

Dr boudjouraf bilel

جامعة ورقلة bilelboudj88@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/ 11/04 تاريخ القبول: 2022/12/22 تاريخ النشر: .2023/01/01

ملخص :

تشهد مدينة ورقلة العديد من التحولات السوسيو اقتصادية خلال العقود الأخيرة، خاصة بعد التوطين النهائي للمجموعات البدوية في سبعينيات القرن الماضي، وكذلك بعد تحولها لأهم قطب اقتصادي في الوطن بعد تأميم المحروقات سنة 1971 م، وتوافد أعداد كبيرة من مختلف مناطق الوطن بحثا عن فرص العمل، سنحاول في هذه الدراسة الوقوف على أهم سمات وملامح التشكل الحضري الجديد لمدينة ورقلة عاصمة الصحراء الجزائرية.

كلمات مفتاحية: مدينة ورقلة ، الحضرية ، الصحراء الجزائرية ، أنثروبولوجيا.

Abstract:

The city of Ouargla has witnessed many socio-economic transformations in recent decades, especially after the final settlement of the Bedouin groups in the seventies of the last century, as well as after its transformation into the most important economic pole in the country after the nationalization of hydrocarbons in 1971 AD, and the influx of large numbers from different regions of the country in search of job opportunities, we will try In this study, the most important features and features of the new urban formation of the city of Ouargla, the capital of the Algerian desert, are identified

Keywords:. Ouargla city, urban, Algerian desert, anthropology .

المؤلف المرسل: د بوجراف بلال

1. مقدمة:

إن التحولات الاجتماعية و المجالية التي عرفتها مدينة ورقلة خلال العقود الأخيرة، أفرزت تشكلات حضرية جديدة غير مكتملة الملامح، خاصة بعد التوطين النهائي للمجموعات البدوية في سبعينيات القرن الماضي، لتصبح نسبة البدو اليوم بمدينة ورقلة تقارب الصفر بالمئة، ولتشهد بعدها تشكل حضري آخر بعد تحولها لأهم قطب اقتصادي في الوطن بعد تأميم المحروقات سنة 1971 م، وتوافد أعداد كبيرة من مختلف مناطق الوطن بحثا عن فرص العمل، سنحاول في هذه الدراسة الوقوف على أبرز ملامح وسمات الحضرية الجديدة لمدينة ورقلة، وسنعرج على أثر اكتشاف الذهب الأسود (النفط) في تغير النسق الاقتصادي التقليدي ، ثم سنتعرض للوضعية الراهنة للواحات بمدينة ورقلة وتغير مكانتها من محور الحياة في الصحراء إلى مجال هامشي، و سنناقش التحولات الحاصلة في نظام العمل، والمهن الجديدة باعتبارها البديل المعيشي والاقتصادي للمجموعات التقليدية، بعد تلاشي نسقهم الاقتصادي التقليدي، وكيف ساهم ذلك في إبراز ملامح وسمات حضريتهم الجديدة، ثم كيف كان لاستخدام التكنولوجيا الحديثة دور في تجاوز إكراهات البيئة والتحرر من الحتمية الجغرافية وتلاشي الأنماط الحضرية المرتبطة بها، ونصنف كذلك الأنماط العمرانية الجديدة، ونتطرق لتأثير العولمة على البناء الاجتماعي التقليدي، من خلال بعض مؤشرات تحلل النظام القبلي وإسقاطها على مدينة ورقلة ، وفي الأخير سنعرض أهم سمات وملامح الحضرية الجديدة لمدينة ورقلـة، إن عملنا في هذه الدراسة اعتمد بالأساس على المنهج الإثنوغرافي وأهم أدوات البحث الأنثروبولوجي، كالملاحظة بالمعايشة والمقابلة والإخباريين .

2. **اكتشاف الذهب الأسود وتغير النسق الاقتصادي** :

ساهم القرن العشرين بشكل معتبر في توسع رقعة هذا البلد في اتجاه الجنوب، وهذا بسبب اكتشاف حوض بيترولي كبير، أرادت له الجيولوجيا أن يتخذ من مركز جنوب منطقة ورقلة موقعا وقد بدئ في إستغلاله منذ 50 سنة – سنة 1956 -، بحيث أعطى لنفسه المكانة التي جعلت منه مركزا تقنيا واقتصاديا لمدينة جديدة هي حاسي مسعود، بيد أنه غير شروط الحياة إلى حد كبير بورقلة وحتى في منطقة واد مية بأكملها، ساحبا إياها في مسيرة حثيثة إجبارية نحو الحداثة، وهكذا عرفت ورقلة دفعا جديدا **(كوت،2016،ص 7).**

في 24 فيفري 1971 تم تأميم المحروقات من طرف الرئيس الراحل هواري بومدين رحمه الله ، مما سمح بتكثيف وتوسيع الأنشطة في حوض حاسي مسعود، توازيا مع تكثيف هذه الأنشطة ذات الصلة بالمحروقات شهد النمو الاقتصادي طفرة هائلة أسفرت عن إنشاء مجموعة من البنى

التحتية الاجتماعية، أحدثت تحولا ثقافيا واقتصاديا، وبالتالي خلق بيئة معيشية جديدة تتكيف مع الوضع الجديد.**(ministere de la culture 2013. P 31)**

إن اكتشاف النفط بمنطقة ورقلة وبداية استغلاله هي المحطة الفاصلة بين النسق الاقتصادي التقليدي بحاضرة ورقلة، والنسق الاقتصادي الجديد المنبثق عن النشاطات ذات الصلة باستخراج المحروقات واستغلالها، وما رافق ذلك من مشاريع تنموية مست كل القطاعات في إطار مساعي الدولة لتنمية الجنوب.

يؤثر النسق الاقتصادي في بقية الأنساق الأخرى ويلعب دور كبير في صياغة العلاقات الاجتماعية، إن العلاقات و النظم الاجتماعية التقليدية بمدينة ورقلة كانت شديدة الصلة بـ " اقتصاد الواحة "، فأجور حراس أبواب القصر- المدينة التاريخية - مثلا ، كانت قفة من التمر عن كل أسرة من أسر القصر في فترة جني التمور ، بل إن فترة تلقيح التمور خلال فصل الربيع ، هي فترة الزواج والأعراس لسكان ورقلة في دلالة رمزية مفادها أن استمرار هذا المجتمع مرهون باستمرار إنتاج التمور .

الفلاحة اليوم تعيش حالة هجران، ولم تعد هي محور معيشة الورقلي، والنمط التجاري التقليدي للبدو المتمدنين تلاشى منذ عقود، و أصبح الاعتماد شبه الكلي في توفير مختلف الاحتياجات المعيشية مرتبط بما توفره الدولة من مناصب عمل، سواء في الشركات ذات الصلة بأنشطة استغلال المحروقات، أو الوظائف المتوفرة في القطاعات الأخرى ، بالإضافة إلى الأنشطة التجارية والخدماتية الحديثة .

3. الــواحـة الحزينـة " من جنة إلى مجال هامشي " :

لعبت النخلة ومشتقاتها دورا كبيرا وهاما في حياة سكان وادي مية ووادي ريغ ولمنيعة، استعملت في الاحتياجات المنزلية والبستان والأشغال العامة والألعاب، كما استعملت مشتقاتها في تصفية الدهن والحليب ومياه الخندق، وتخفيض نسبة الملوحة وتمتين السدود المائية والخنادق وربط العيون ومع الطين يسد بها ينابيع الماء .

كان الورقلي يعتني بالنخلة ويحافظ عليها، يطعمها ويسقيها بتقنيات محسوبة في أوقات معينة مما جعل منتوجه يختلف مذاقه عن منتوج المناطق القريبة منها، فمثلا تمور بوسحاك تختلف تماما عن تمور الشط وعجاجة وعين القديمة وبني ثور ونقوسة، وأكثر طولا وحجما، إن نسبة الملوحة في تمور ورقلة جعلتها قابلة للادخار إلى خمسة سنوات دون أن يفسد، حيث يتحول من لونه الأحمر إلى الذهبي ويسمى "لقبوري ".

في سنة 2008 جمعنا – عبد الرحمان حاجي – من ورقلة لوحدها 86 نوعا من التمور بالصورة، ويرجح أن عددها 110 كأقصى تقدير **(حاجي، 2011، ص 260- 262).**

إن واحات مدينة ورقلة اليوم ليست على تلك المكانة التي كانت عليها سابقا، حيث كانت محور الحياة خاصة لسكان القصور، وبالأخص الواحات المحيطة بالمدينة القديمة – القصر العتيق – والواحات المجاورة لأحياء القبائل البدوية المتوطنة، جنة الأمس هي اليوم مكان لتفريغ الردم، طالها الهجران والإهمال، بل قد تجد من يتعمد حرق العشرات من أشجار النخيل ، ليحل مكانها الاسمنت والآجر.

من خلال عدة مقابلات مع إخباريين و حورات مع بعض ملاك هذه الواحات حول هذه الوضعية المؤسفة التي آلت إليها الواحة اليوم، يمكن أن نرجع ذلك لثلاثة أسباب وهي :

1- **عزوف الأجيال الحالية عن مهنة الفلاحة** :

إن الرغبة في العمل في مناصب برواتب عالية ، كرواتب الشركات البترولية جعل الأجيال الجديدة تهجر الأنشطة الفلاحية ، وكأن الواحة اليوم تدفع ثمن مجاورتها لحاسي مسعود، إن تمثلات شباب اليوم حول العمل هي " الربح السريع وبأقل جهد ووقت !" ، وهو ما لا توفره مداخيل إنتاج التمور .

2- **التوسع العمراني على حساب الواحات** :

إن النمو السكاني المتزايد وعدم توفر أوعية عقارية للبناء في أحياء مثل القصر العتيق وسيدي عمران وبني ثور وسعيد وغيرها، دفع بعض ملاك هذه الواحات إلى استغلال مساحات معتبرة منها في بناء مساكن، وكذلك بناء ما يشبه حظائر كبيرة واستغلالها في أنشطة تجارية كبيع مواد البناء أو تأجيرها .

3- **تفتيت مساحات الواحات بفعل التوريث** :

وجود عدد كبير من الورثة لبساتين النخيل وسع من اختلافهم حول كيفية استغلالها، إلى حد الوصول إلى النزاعات القضائية، فهناك من يريد بيعها، ووريث آخر يريد بناء منزل في جزء منها، والبعض يفضل استغلالها في الفلاحة **(ز ، ل – إخباري، مقابلة بتاريخ : 25–10–2018)** ، حتى صارت اليوم مهجورة وفي حالة جمود وركود، كما هو حال واحة بني إبراهيم في الناحية الشمالية للقصر وواحات أخرى كثيرة .

يمكن أن نستثني مما سبق بعض واحات حاسي بن عبد الله، والتي أنشئت في شكل مستثمرات فلاحية – خلال مشروع الثورة الزراعية في سبعينيات القرن العشرين – ومع ذلك فهي ليست في مستوى المقومات المتاحة بمنطقة ورقلة لإنتاج التمور، والتي جعلتها تأخذ اسم الواحات خلال

القرون السابقة، بل إن منتوج التمور المتوفر اليوم بأسواق ورقلة أغلبه يأتي من مدينة بسكرة ووادي سوف .

إن إهمال الأجيال المعاصرة للفلاحة بمدينة ورقلة له أبعاد ثقافية عميقة، فتمثلاتهم للفلاحة على أنها نشاط يرتبط بالحياة الريفية والبدوية، ويتناقض مع الحداثة ونمط العيش في المدينة، جعلهم يفضلون الأنشطة الأخرى التي تتلاءم مع حياة المدينة – حسب تصوراتهم - حتى لو كان عائدها المالي أقل من أرباح الأنشطة الفلاحية، بينما نجد البلدان الأكثر تحضرا وحداثة كاليابان وأمريكا وفرنسا ، تعتمد في اقتصادها أساسا على الفلاحة .

4. العمل والمهن الجديدة " إغراء ، حلم ، تنافس " :

بتحول هيكل النشاطات والمهن في مدن الجنوب لم تعد الفلاحة هي الحرفة الرئيسية لسكان الواحات القدامى والتي طالما كانت سببا لوجودهم ، في أحسن الأحوال أصبحت اليوم مجرد نشاط مكمل لميزانيات بعض الأسر، هذا إن بقيت لبعضها ملكيات بساتين النخيل التي انتهت إلى البيع أو الزحف العمراني، أو التفتيت بالميراث، إن تحول هيكل الأنشطة الاقتصادية غير كثيرا هذا المجتمع التقليدي في ظرف عقود قليلة بعد الاستقلال، بتأثير التحولات الاقتصادية والسياسية ، أهمها اكتشاف النفط بمنطقة حاسي مسعود سنة 1956 إذ توجه كثيرا مِمَن كانوا فلاحين أباً عن جدٍ ، إلى العمل في شركات النفط ، مما سبب نزيفا كبيرا في اليد العاملة والخبرة الفلاحية استقطبتها هذه الشركات وغيرها من الوظائف الجديدة، لقد غيّر هذا كثيرا في نمط حياة الفلاحين القدامى خاصة ، وفي تركيبة الأسرة ودور المرأة والعلاقات الاقتصادية و الاجتماعية.**(خليفة ،2012، ص 6).**

إن التغير في النمط الاقتصادي من الفلاحة وتجارة القوافل إلى الاقتصاد النفطي، وما أفرزه من أنشطة تنموية في كل القطاعات، أدى إلى التحول في النظم الاقتصادية، ومن بينها نظام العمل .

إن ما توفره الشركات البترولية و الوراشات التابعة لها من مناصب عمل برواتب " مغرية " مقارنة مع الأعمال الأخرى المتاحة في سوق العمل، جعلها محل " تنافس " بين طالبي الشغل من أبناء مدينة ورقلة وكذلك من باقي مناطق الوطن .

إن تلاشي النظم الاقتصادية التقليدية للبدو المتوطنين بعد استقرارهم وزوال " تجارة القوافل "، وسعيهم للاندماج في الحضرية الجديدة وإيجاد البديل الاقتصادي لم يكن بالأمر السهل، إن قيم البدوي وتمثلاته حول " كسب قوت العيش " تزدري الأعمال المستقرة " والتي أصبحت " حتمية " لا مفر منها، جعلت بعض المهن تستهويهم على حساب مهن أخرى .

إن هذه المعطيات تؤكد أن العوامل السوسيوثقافية محدد رئيسي للاختيارات والتوجهات المهنية اليوم في مدينة ورقلة، إن الملاحظ على الوافدين والحضريين القدامي " الوراقلة " اندماجهم السريع في ما يوفره سوق العمل دون أن يكون لهم توجه محدد لا يرضون بديلا عنه، فأي عمل يلبي الاحتياجات الاجتماعية، ويكون مصدر دخل مرضي لهم هو ما يبحثون عنه، على العكس من ذلك نجد الأجيال الحضرية للبدو المستقرين ذوي توجهات مهنية محددة، تنسجم مع قيمهم الاجتماعية الموروثة، وتمثلاتهم للعمل، فالعمل كـ " سائق " أو " عون أمن " في شركة بترولية ، أو في بعض الأنماط التجارية الجديدة الرسمية وغير الرسمية والتي تعتمد على التنقل – بوسائله الحديثة - ، أو أي عمل لا يترتب عليه استقرار مستمر في مكان محدد، هو العمل المفضل، وكأنه " الحنين للماضي " خاصة و أن القبائل البدوية بورقلة استقرت مكرهة لا مختارة، بداية من التواجد الاستعماري وعمله بكل الطرق على تثبيتهم لكسر مقاومتهم باعتبار تنقلهم في الصحراء وإلى الشمال يشكل خطر على الجنود الفرنسيين، وكذلك ليسهل التحكم بهم بعد استقرارهم، ثم لتأتي مرحلة الاستقلال ويزحف عمران المدينة لديارهم ، ويصبح استقرارهم النهائي هو المصير المحتوم .

إن ظهور نظام العمل المأجور في المؤسسات التابعة للدولة – الوظيف العمومي – أو المؤسسات الخاصة بالإضافة للتحولات في النسق الإقتصادي العام، والتي أشارنا إليها في ما سبق، أحدثت تغير بنائي في النسق الاجتماعي العام، وأدى ذلك إلى زوال بعض الأدوار الاجتماعية وتغير بعضها، ومن أبرزها انخراط المرأة الورقلية في سوق العمل، حيث أصبحت النساء العاملات في بعض القطاعات أكثر عددا من الرجال، كقطاع التربية والتعليم .

إن ولوج المرأة الورقلية في سوق العمل لم يحدث تغير في بنية الأسرة الورقلية فقط، بل كان له أثره الواضح في بنية المجموعة القبلية بشكل عام ، فاندماجها في النمط الحضري الجديد عن طريق العمل أتاح لها نمط حياة يعطيها مجال أكثر حرية ومتعدد الخيارات – كالزواج الخارجي مثلا - عكس نمط الحياة التقليدي في ضوء سلطة النظم والقيم الاجتماعية للمجموعة التي تنتمي إليها، فهذه " الهوية الحضرية الجديدة " للمرأة الورقلية تعتبر مؤشر على التفكك والتحلل القبلي الحاصل في بنية المجموعات التقليدية بمدينة ورقلة.

5. استخدام التكنولوجيا الحديثة " تجاوز إكراهات البيئة ".

عرفت أنماط الحياة استقرارا نسبيا بحاضرة ورقلة في الفترة مابين القرن 11 والقرن 18 ميلادي، كبقية حواضر الصحراء الجزائرية الأخرى، حيث كانت تستعمل وسائل بسيطة في البناء و الفلاحة أو التنقل ، وغير ذلك من متطلبات الحياة المختلفة، إن البيئة الصحراوية ذات خصوصية

أيكولوجية تجعل من الحياة صعبة وقاسية مقارنة مع المناطق ذات الخصائص الأيكولوجية المعتدلة، فالحتمية الجغرافية تكون ذات تأثير واضح عند المجتمعات التي لا تمتلك تكنولوجيا متطورة، ورغم تلك الوسائل البسيطة التي استعملها الإنسان في الصحراء للتكيف والانسجام مع الطبيعة الصحراوية، إلا أنها تعبر عن قدرات الإنسان في التكيف مع الظروف الطبيعية المختلفة، يتجلى ذلك في حاضرة ورقلة في الخصائص الهندسية للقصر العتيق، إن الطرق مثلا داخل أحياء القصر صممت بشكل ملتوي لكسر حركة الرياح القوية في فصل الربيع وبمساحة قصيرة في عرضها لا تتجاوز المترين وتحيط بها منازل القصر المرتفعة حوالي سبعة أمتار لتتوفر هذه الطرق على الظل والبرودة طوال اليوم، وأيضا بالنسبة لهيكلة المنزل من الداخل، فكل بيوت القصر العتيق تحتوي على بهو في وسط المنزل غير مسقف يسمى " الرحبة " وذلك لتوفير حركة الهواء داخل المنزل، وفي محيط القصر الخارجي نجد غابات النخيل تحيط به من كل جوانبه، لتشكل حزام واقي ضد العواصف الرملية، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة .

بعد القرن 18 م بدأ العالم يشهد تحول وتطور تكنولوجي سريع، وفي القرن 19 ومع بداية المرحلة الاستعمارية بدأت التكنولوجيا الحديثة تصل للشعوب المستعمرة، وبعد استقلال الجزائر وإدماج مدينة ورقلة في المجتمع الوطني العام، بدأ الاستعمال الواسع للتكنولوجيا الحديثة، ليتخلى المجتمع الورقلي تدريجيا عن الوسائل التقليدية .

إن الأنماط التقليدية في النقل و الاتصال أو بالنسبة للطاقة المستعملة في الحياة اليومية، ارتبطت بها ممارسات ثقافية ونظم اجتماعية، تلاشت مع شيوع استخدام التكنولوجيا الحديثة ، لا يمكن أن تجد اليوم في مدينة ورقلة منزلا بدون مكبف هوائي أو تلفاز، أو تجد من يستعمل وسيلة أخرى غير السيارة والحافلة والطائرة والتراموي للتنقل والسفر، كذلك مكنت التكنولوجيا الحديثة الفلاح في الصحراء من استصلاح الأراضي البور، واستخراج المياه الجوفية بطرق سهلة وفعالة ، بل وزراعة منتوجات لم تكن موجودة سابقا ، وكانت حكرا على مدن التل والساحل، كالحمضيات والزيتون وتربية المائيات، كالمستثمرة الموجود بحاسي بن عبد الله ، والتي أصبحت توفر أنواع كثيرة من السمك في أسواق مدينة ورقلة .

إن استخدام الطاقة والتكنولوجيا الحديثة جعلت الإنسان في الصحراء بصفة عامة، والمجتمع الورقلي بصفة خاصة يتحرر من إكراهات البيئة، ويتجاوز الكثير منها، وينخرط في أنماط حضرية أكثر ارتباطا بالنمط العولمي العام خاصة في محتواه التقني، بعدما كان يعيش على أنماط شكلتها " الحتمية الجغرافية " .

6. الأنمــاط العمرانية الجديدة " تعميـر بلا هوية " :

إن العمران هو الأداة المعبرة عن جانب من الهوية التي يستخدمها أعضاء المجتمع للتعبير عن هذا أو ذاك المجتمع في العالم المحسوس، وبغض النظر فيما إذا كان ذلك يتم من خلال البنائين أو المعماريين، وبغض النظر فيما إذا كان جليا أو خفيا .

إن النسيج العمراني ليس أكثر من مرآة فيزيائية لما هو غير فيزيائي، بما في ذلك الأوجه والأبعاد الأيديولوجية التي تحدد الواقع الموضوعي لذلك المجتمع اليوم، وروابطه نحو الماضي وفي اتجاه القادم وتطلعاته المستقبلية، كما أن العمران تعبير ثقافي لإبراز هوية المجتمع أي اختيار الطابع والشكل المتوافق مع البيئة والإنسان، وتأمين متطلبات هوية الفرد والجماعة من خلال المعالم والصفات المعبرة عن متطلبات الهوية التي تظهر في التشكيلات الرمزية، وفي الواقع ليس هناك شكل فني أكثر ارتباطا بمجتمع بعينه كشكل تعبيراته المعمارية،لأنه الفن المتجذر فيزيائيا ، يقول " مالينوفسكي " : «...عندما ندرك أن التراث الإنساني في الظروف البدائية ذو قيمة فائقة للمجتمع، ولاشيء مهم كالإلتزام به والمحافظة عليه ، وأن أي تراخ في هذا يضعف الالتزام لدى المجموعة ويعرض جدواها الثقافية للخطر إلى حد تهديد وجودها ذاته... ».

ذلك لأن الهوية كإشكالية ضمن العمران التقليدي تحتل فيه دورا كبيرا وملحوظا عبر محاولة صياغة القيم الرمزية في مفردات معمارية، إذ غالبا ما تتراكم هذه القيم عبر العلاقة التاريخية اللاشعورية بين المجتمع والنتاج العمراني وبهذا تصبح الهوية نتيجة لهذا التفاعل **(الصغير،2018،ص 82 – 83).**

ينتج أي مجتمع أو مجموعة اجتماعية مهما كان حجمها صغيرا أو كبيرا مجالات عمرانية تعتبر بمثابة إسقاط لتصورها العام عن الحياة وعن ذاتها الاجتماعية، من المؤكد أن هذا المجال العمراني يخضع لحتميات أيكولوجية، ويتفاوت أثر البيئة في نمط العمران على حسب امتلاك ذلك المجتمع للتكنولوجيا، حيث يبدو واضحا جليا في المجتمعات البسيطة، ويقل في المجتمعات التي تمتلك تكنولوجيا متطورة، ولكن هناك عوامل أخرى ستحدد شكل هذا العمران وأجزائه وهندسته، هي العوامل السوسيوثقافية لكل مجتمع، فيصبح هذا المجال العمراني مرآة ترى من خلالها هذا المجتمع فتتشكل له هوية عمرانية تميزه عن بقية المجتمعات.

ارتبطت الهوية العمرانية لحواضر الصحراء الجزائرية بنمط القصور، والذي يعكس المجالات العمرانية للمستقرين بالصحراء، إن النمط العمراني لهذه القصور يعبر عن صورة من صور التكيف مع البيئة الصحراوية، وكذلك عن القيم والنظم الاجتماعية، والتي تتجلى في كيفية تنظيم المجال العام والخاص على المستويين الفيزيائي المحسوس، والمستوى الرمزي والافتراضي .

إن بداية التحول العمراني بحاضرة ورقلة بدأت مع المرحلة الاستعمارية لتتبعها تحولات أخرى في ظل الجزائر المستقلة، خاصة بعد تأميم المحروقات في سبعينيات القرن العشرين وإستراتيجية الدولة في إدماج الصحراء في المجتمع الوطني العام .

ما يلاحظ اليوم على الأنماط العمرانية الجديدة سواء منها التي تشيد من من طرف مؤسسات التعمير الرسمية أو التي تبنى فرديا في كل أحياء مدينة ورقلة، حتى بالنسبة لتلك المساكن التي أعيد ترميمها أو بناؤها كليا من جديد داخل القصر العتيق، هو الاهتمام بالجانب الوظيفي والتقني للسكن، كتوفره على عدد من الغرف، ومستودع، فلا تجده مورفولوجيا يحمل أي دلالات ثقافية أو تصاميم تعبر عن هوية، كما هو في منازل المدينة القديمة .

لا يمكن أن ننكر قانون التطور والتغير الذي يحدث لكل مجتمع، فاستعمال الوسائل الحديثة وتجهيز المنزل بمختلف الوسائل التكنولوجيا المتوفرة، لا يعتبر تخلي عن الهوية .

إن عدة عوامل ثقافية واقتصادية أفرزتها العولمة جعلت من " النفعي " يطغى على " الرمزي " في تصميم المنشآت العمرانية الجماعية والفردية، إن الراهن العمراني لمدينة ورقلة يدفعنا للقول بأن الهوية العمرانية التي عرفت بها لقرون هي اليوم في طريق التلاشي والزوال .

ويمكن أن نصنف الأنماط العمرانية الشائعة اليوم بمدينة ورقلة كالآتي :

- النمط العمراني للقصر العتيق ، وهو النمط التاريخي والهوياتي لحاضرة ورقلة .
- نمط أحياء القبائل البدوية المتوطنة ." كحي سعيد عتبة و المخادمة وبني ثور"
- نمط الأحياء العشوائية الغير المخططة . " كحي سكرة وحي بوزيد ".
- نمط المساكن الفردية الحديثة ، والتي تتواجد بكل أحياء مدينة ورقلة
- نمط المساكن الجماعية المخططة – العمارات – ، والمتواجدة بالقطب العمراني الجديد " الخفجي " والتي بنيت بنفس النمط الشائع في كل مناطق الوطن .

هناك بعض المحاولات من المرقين العقاريين الخواص لإنشاء أحياء وفق أنماط تحمل خصوصية المدن الصحراوية ، سواء لأجزاء المنزل من الداخل أو شكله الخارجي ، كسكنات عدل بطريق الوزن الثقيل – حي الزياينة ، وكذلك السكنات التساهمية بحي النصر 38 .

7. ريـــاح العولمـة وتحـلل النظـام القبلي :

إن المجموعات الاجتماعية التقليدية بمدينة ورقلة ذات بنية قبلية، حافظ هذا البناء الاجتماعي على ثباته واستمراره لقرون، إلا أن الاندماج الحتمي في الأنماط الحضرية الجديدة ، ورياح العولمة العاتية أحدثت تحولات عميقة في البنى القبلية لهذه المجموعات، تصل لدرجة التفكك والتحلل لهذا النظام التقليدي، يعرف قيس النوري التحلل القبلي فيقول : «...يقصد بالتحلل القبلي -

Detribalization - أو العشائري تضاؤل سيطرة القيم والمعايير البدوية التقليدية على علاقات وسلوك أبناء العشيرة نتيجة لتأثرهم المتزايد بمعايير المدينة، من هنا يمكن القول أن التحلل القبلي هو نتيجة متوقعة لعملية التحضر... ...»،**(النوري، 2001 ، ص 148).**

لا تزال مجتمعات العالم الثالث تمر بمرحلة التحلل القبلي التي بدأتها منذ مطلع هذا القرن تقريبا مع دخول الإدارات الاستعمارية والتصنيع والتعليم المدرسي ونشوء المدن الحضرية بتنظيماتها المهنية والحرفية والطبقية والثقافية المتعددة، ومع تعقيد الواقع الانتقالي لهذه المجتمعات لكثرة الظواهر المتغيرة وتعدد عمليات التصير- التحول - التي تواجهها، إلا أنها تشترك جميعا في حقيقة واحدة وهي انتقال أنساقها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية من أشكالها القبلية إلى نماذج حضرية، ولو حاولنا إعطاء صورة إجمالية عن أبراز الاتجاهات والمؤشرات التي تعبر عن هذا الانتقال أو التحول فإننا نستطيع تشخيصها كالآتي:

- **التبعثر السكاني :**

كانت العشائر عموما تقطن في بقع من الأرض تدعى ديارها ، وقد اقترنت أسماؤها عدة بتلك الديار كما لو كانت أوطانا، وكم حدثت من المعارك والنزاعات بينها على ملكية الأرض والتمسك بها كأهم أركان وجود العشيرة ودعم هويتهم، وقد التقت في ذلك الهوية القرابية والجغرافية كما لو كانا وجهين لعملة واحدة، إن هذه الصورة الرومانتيكية لوحدة العشيرة والأرض لم تقاوم أمام ريح التحضر، حيث تبعثرت وحدات العشيرة نتيجة لهجرة كثير من أفرادها وأسرها في المدن، ونظرا أن الهجرة الريفية تسير وفقا لفرص العمل أينما تتاح، فإن هذا أدى بالضرورة إلى تفرق العشائر في مختلف الاتجاهات الجغرافية ولمسافات متباينة، وهكذا انفرطت وحدة التجمع السكاني والبيئي للعشيرة إلى صورة بعيدة عنها من التشتت Dispersal ، ومن الطبيعي أن هذا التباعد الجغرافي الديمغرافي يخلق تباعدا اجتماعيا ونفسيا بين أفراد وأسر العشيرة ، خصوصا حينما يمر عليه زمن طويل نسبيا.

- **ضمور الانتماء والولاء الجمعي :**

من سمات العشائرية الرئيسية قوة التعصب للعشيرة والارتباط بها وجدانيا والإخلاص التلقائي لها ، فقد كانت العشائر لا تمارس ضغطا على أسرها وأعضائها لكي تضمن ولاءهم وانتمائهم لها ، لأن ذلك كان يجري بصورة عفوية.

عندما نقابل تلك الصورة التي جسدت قوة التلاحم بين الفرد وقبيلته بالواقع الحضري الجديد ، فإننا لا نرى إلا القليل من ذلك الانتماء والولاء العشائري ، ولعل من أسباب هذا التحول أن الدعم الاقتصادي والاجتماعي والنفسي الذي تلقاه الفرد من عشيرته ودفعه إلى التمسك بها لم يعد ممكنا

أو ضروريا في الواقع الحضري ، فليس من المتوقع أن يحقق الفرد الحضري ولو جزء ضئيلا من الخدمات العشيرة السابقة ، أمام ظهور مؤسسات حضرية حلت محلها أو نتيجة لانقطاع التفاعل والتواصل الذي يعوق تلك الخدمات ، فضلا عن تعارض هذا الانتماء مع مفهوم التقدم والتحديث الذي يتظاهر به الحضر لتعزيز مركزهم الثقافي والاجتماعي في المدينة ، وهكذا تعمل الصيرورة الحضرية على إحلال النماذج المؤسسية الاقتصادية والسياسية والقانونية والاجتماعية والمهنية للانتماء بدلا من نموذجه العشائري.

- **نمـــو التوجـــه المهنـي :**

تعد النقلة المهنية في عملية التحضر من أكبر مؤشرات التحلل العشائري ، فبعد أن كان أبناء العشيرة يعتمدون على نظام معيشي واحد ، سواء كانوا جامعين أو صيادين أو رعاة أو فلاحين ، أصبحوا بعد إنتقالهم إلى المدن مهنيين و حرفيين صناعيين أو خدميين أو موظفين أو موظفين حكوميين، إن أهم تأثير لهذا التحول هو أن أفراد العشائر المتحضرين يتخلون تدريجيا عن الميول الجسمية والفكرية والعملية التي رافقت أسلوب معيشتهم السابق، ليتكيفوا لطراز الأعمال التي يمتهنوها في المدينة ، فالمهنة في هذا السياق هي ليست وسيلة لكسب المعيشة فحسب، بل وعاملا معقدا في إعادة تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية للريفيين حديثي التحضر.

- **التحـولات التعليميـة :**

نستطيع أن نلاحظ وبسهولة دور التعليم في تفكيك القبيلة والعشائرية التي اعتمدت بين أمور أخرى على الأمية ، وقد نشطت حركة التعليم في معظم الأقطار العربية مع تأسيس الدولة ولكنها ظلت ضعيفة في البوادي والأرياف ، ونتيجة لازدياد نسبة الدارسين في المدارس تغيرت كثيرا من مواقف الناس إزاء أمور متعددة ، منها القيم والمقاييس العشائرية التي أصبحت موضع تساؤل وشك ، بعد أن كانت تحظى بالتسليم والقبول الغير مجزأ، وتضاعف تأثير التعليم مع تأسيس الجامعات وازدياد أعداد خريجيها وانتشار تأثيرهم الفكري والاجتماعي بين عشائرهم وقراهم ، من الطبيعي أن هذا كان من العوامل الديناميكية المركزية في تفتيت العشائر وإضعاف معاييرها التي تتعارض مع كثير من شعارات ومبادئ العلوم و الاختصاصات الإنسانية التي تدرسها الجامعات **(النوري، 2001 ، ص 149-152).**

بالإضافة لهذه المؤشرات التي ذكرها " قيس النوري " حول التحلل القبلي، أضفنا مؤشر الزواج الخارجي و مؤشر أدوار أعيان القبائل وكبار السن، باعتبارهما أهم ميكانيزمات إعادة إنتاج الهوية، وقمنا بإسقاطها على مدينة ورقلة فكانت النتائج التالية :

- **مــؤشر التبعثر السكاني :**

أخذت المجالات العمرانية التي ظهرت بعد استقرار البدو ، أسماء القبائل البدوية التي توطنت بها (سعيد عتبة والمخادمة وبني ثور) ويستثنى من ذلك الشعانبة الذين استقر معظمهم بمنطقة عين البيضاء والرويسات ، وهي في الحقيقة كانت أماكن حط رحالهم في فترات التواجد بضواحي المدينة التاريخية – القصر العتيق – قبل استقرارهم النهائي ، بالإضافة لمجموعة " الوراقلة " المستقرة قديما بالقصر العتيق، إن المعطيات الميدانية تشير إلى وجود تفاوت بالنسبة للتبعثر السكاني لهذه المجموعات ويمكن ترتيبها كالأتي :

- **بني ثــور :**

وهي القبيلة الأكثر تبعثرا سكانيا ، ويعود سبب ذلك لتواجدها بمركز المدينة ، والذي يعتبر أول حي قامت الإدارة الاستعمارية بالتوسع العمراني به، من خلال إنشاء البرج العسكري المعروف بالبرج الأحمر، ثم تبعته منشآت أخرى لتتحول بعد الاستقلال لمقرات إدارية وثكنات عسكرية، فحي بني ثور اليوم هو مركز المدينة والمعروف بـ " quatre chemins " والذي يعرف حركية تجارية وخدماتية كبيرة، كل هذه العوامل هي التي أدت إلى تحلل التركيبة الاجتماعية القبلية لهذه المجموعة وتبعثرها السكاني، حتى أنه في الانتخابات البلدية الأخيرة لم تكن هناك قائمة انتخابية موحدة لقبيلة بني ثور عكس القبائل الأخرى .

- **الشعــانبــة :**

يعرف أفراد هذه القبيلة بفرسان الصحراء، وكذلك بمعرفتهم الكبيرة بمسالك الصحراء ، وحبهم وتمسكهم بحياة التنقل والترحال، وهي أخر قبيلة استقرت بمدينة ورقلة ، وسبب التبعثر السكاني لهذه القبيلة هو عدم استقرارها بمجال محدد، لذلك لا تجد حي بمدينة ورقلة يحمل اسم الشعانبة، كما حدث مع بقية القبائل الأخرى فتوزعهم على منطقة الرويسات وعين البيضاء وهي مناطق مفتوحة على الوافدين من أماكن أخرى، ومن القرى القريبة منها، ساهم في تحلل تركيبتها السكانية وتبعثرها .

- **المخـادمـة :**

حافظت كثيرا قبيلة المخادمة على تركيبتها السكانية القرابية، والتبعثر السكاني بها منخفض نسبيا مقارنة مع القبائل السابقة، فأحياء المخادمة لحد اليوم تحمل أسماء أعراش هذه القبيلة، كبني حسن وحمدات، وأولاد نصير، وخماقنية وغيرها ، فتنقل بعض أفراد هذه القبيلة للإقامة بمناطق أخرى هو يعتبر استثناء وذلك بسبب العمل والزواج، أو الحصول على سكن في حي أخر من الإحياء الجديدة كالخفجي مثلا .

- **سعيـــد عتبـــة :**

إن المتجول في حي سعيد عتبة سيلاحظ ذلك التجانس الموجود بين السكان، وكذلك قلة الحركة بهذا الحي، تعتبر قبيلة سعيد عتبة من أكثر قبائل ورقلة مقاومة للاندماج في الحياة الحضرية الجديدة، فهي تعيش ما يمكن أن نسميه " الاندماج المتحفظ " أو " الاندماج الجزئي "، والمقتصر على الضروري والحتمي فقط، فالأنشطة التجارية المختلفة الموجودة بأحياء مثل بني ثور والمخادمة والقصر العتيق، لا توجد بحي سعيد عتبة، لذلك يقل أن تجد أجنبي بهذا الحي، فهي محافظة على قدر كبير من تركيبتها السكانية والقرابية ، وهي أقل القبائل تبعثرا من حيث السكان .

- **الـــورقلـــة :**

إن الطبيعة المغلقة للقصر العتيق " المدينة التاريخية " والتي تتضمن 2138 سكن ، وما يقارب 7878 نسمة **(الدليل الاحصائي لولاية ورقلة ، 2018، ص 25)**، أتاحت لهذه المجموعة المحافظة على تجانسها السكاني وتركيبتها القرابية، إلا أن عدم توفر أوعية عقارية جديدة للتوسع العمراني للأسر الجديدة داخل القصر، جعل الخروج من القصر أمر حتمي ، وتبقى هذه المجموعة أكثرها تمسكا بمجالها باعتباره الوعاء الحامي لهويتها – المعقدة في تركيبتها السوسيو تاريخية - والتي تواجه تحديات عديدة .

- **مؤشر ضمور الانتماء والولاء القبلي :**

إن حاجة الإنسان للانتماء تضمنه له في الحياة الحضرية تلك "الهوية الحضرية "التي يكتسبها من انتسابه لنشاط مهني معين، أو نشاط آخر رياضي أو سياسي أو غير ذلك، والفرد في المدينة كيان مستقل اجتماعيا، بالمقارنة مع الفرد داخل القبيلة .

الانتماء والولاء للقبيلة في المدينة لا يعد رأس مال اجتماعي فاعل، وفي حالة مدينة ورقلة وعلى الرغم من توافر كل الخصائص التي تجعلها مدينة بالمعايير المحددة سوسيولوجيا ، نجد الروابط القرابية و الانتماءات القبيلة والولاء لها لاتزال تصنع الفعل الاجتماعي، ولا يمكن اعتبارها في حالة ضمور وتلاشي، بل يعاد تشكيلها بآليات جديدة تتناسب مع الهيكلة الجديدة للمصلحة السياسية داخل المدينة الخاضعة للسلطة المركزية للدولة، وكمثال على ذلك انتخابات المجلس البلدي الأخيرة سنة، والتي عرفت تنافس بين ممثلي المجموعات القبلية، فكان لكل مجموعة – قبيلة - مرشح (باستثناء بني ثور) ، فالحراك السياسي دائما يتضمن ما هو اجتماعي بالضرورة، إن مؤشر الانتماء والولاء للقبيلة بمدينة ورقلة ليس بتلك القوة التي كان عليها في الماضي، ولكنه لا يزال يتمتع بحيويته وفاعليته، ليعطي لحضرية مدينة ورقلة سماتها وطابعها الخاص رغم اندماج هذه القبائل في الحياة الحضرية الجديدة.

يقول البروفيسور خليفة عبد القادر : «... إن العلاقات السلالية لا تزال تحدد المسار العمراني والفعل الاجتماعي في المدينة وفي الواحات، التملك والسلطة يمران حتماً عبر الانتماءات القرابية التي لاتزال تشكل الحامي للبنية الاجتماعية، ولا تزال تشكل رأسمال اجتماعي فاعل وواقعي، هذه الروابط الاجتماعية هي ليست في الواقع مجمدة، إن التفاعلات بين المجموعات الاجتماعية داخل المدينة، المدن فيما بينها، الحضريين القدامى والبدو المتمدنين تؤدي إلى تحالفات جديدة من خلال مصاهرات جديدة، إنها تشكلات جديدة تخترق البنيات التقليدية استجابة لحتميات المدينية الجديدة تعيد تعريف الروابط السلالية من جديد من خلال تعقيدها أكثر فأكثر... »، **(خليفة ، 2012، ص 5-6).**

- **مؤشـر نمو التوجـه المهني :**

عرضنا في ماسبق العوامل السوسيوثقافية للتوجهات المهنية بمدينة ورقلة خاصة بعد التحول الحاصل في النسق الاقتصادي، إن الاندماج في نظام العمل الجديد أمر لا يمكن للقبائل البدوية المستقرة التحفظ عليه، فهو يرتبط بمصدر المعيشة مباشرة ولا توجد عنه بدائل متاحة، فعدد الموظفين الرسمين فقط في مدينة ورقلة لوحدها وصل إلى 32082 موظف سنة 2017 ، و 1165 متربص في 33 تخصص بمعاهد التكوين المهني، إن الالتحاق بمختلف الوظائف والمهن المتوفرة جعل التفاوت الاقتصادي، واللاتجانس يصبح واقع لدى هذه القبائل ، ولذلك يمكن اعتبار انخراطها في الأنماط الجديدة للعمل بالمدينة ساهم في تحللها القبلي بشكل كبير ، خاصة بعد خروج المرأة للعمل .

- **مـؤشر التحولات التعليمية :**

تتوفر البيئة الحضرية الجديدة لمدينة ورقلة على عدد كبير من المؤسسات التربوية والتعليمية في مختلف الأطوار (62 مدرسة ابتدائية و 29 متوسطة و 13 ثانوية و جامعة بـ 3 أقطاب و12 معهد وكلية و 175 تخصص)،**(الدليل الإحصائي لولاية ورقلة 2018، ص35- 60)**، وهو ما لم تجده تلك المجموعات البدوية قبل استقرارها، وحتى التعليم المتوفر بالنسبة للمستقرين قديما بالقصر العتيق كان يتمحور حول القراءة والكتابة وبعض العلوم الدينية ، إن حصول أبناء هذه المجموعات على شهادات البكالوريا والالتحاق بالجامعات في ولايات أخرى من الوطن، أو حتى بجامعة ورقلة جعلهم يحتكون بمنماذج ثقافية تختلف عن أفراد المجموعات التي ينتمون إليها، وهو ما يعرف أنثروبولوجيا " بالتثاقف " ، وهو ما سيجعلهم يتخلون عن كثير من النظم والقيم التي يتبين لهم نسبيتها وارتباطها بنمط الحياة الماضية ، ويكتسبون أنماط ثقافية

جديدة تمنحهم " هوية حضرية " يتفاعلون من خلالها مع محيطهم الدراسي الجديد ، والمهني بعد التخرج .

- **مـؤشر الزواج الخارجي :**

شيوع الزواج الخارجي يعني نشأة أجيال متعددة الانتماء وبالتالي تفقد هذه القبائل أهم ميكانزيم يعيد إنتاج " الهوية الاجتماعية للقبيلة " ، فتراجع الزواج الداخلي عامل أساسي في تحلل البناء الاجتماعي القبلي ، وهو ماتعيشه مدينة ورقلة اليوم.

- **مؤشر أدوار أعيان القبائل و كبار السن :**

كبار السن لم تعد لهم تلك المكانة السابقة ، حيث كانوا هم المرجع وأهل الحل والعقد لكل الشؤون الاجتماعية – السلطة القضائية والتشريعية – فالاندماج في الحياة الحضرية وخضوع كل الصحراء الجزائرية لسلطة مؤسسات الدولة، جعل مؤسسات أخرى رسمية تحل مكانهم ، ولم تبق لهم إلا بعض" الأدوار الرمزية "كالحضور في مجالس الصلح، وهي ظاهرة طبيعية تصاحب عملية التحضر في مرحلة الانتقال من العرفي إلى القانوني .

8. ورقلة الجديدة " حراك اجتماعي وحضرية بأنماط متعددة " :

يمكن الإشارة إلى الحركة بالمعنى الاجتماعي باعتبارها القيام بعدد من الأنشطة للدفاع عن مبدأ ما، أو الوصول إلى هدف ما **(تلي،2005 ، ص 14)**، فمن سمات المدن خصوصا الكبيرة أنها تشمل نماذج ثقافية واجتماعية وقومية ودينية مختلفة، لم يكن اجتماعها واردا قي القرى القبلية، فالمدن من هذا المنظور هي تجمع سكاني واسع نسبيا يغلب عليه التعدد الثقافي والاجتماعي في مختلف أشكاله وصوره، وبعد أن كان سكان العشيرة الواحدة يؤلفون سكان القرية الذي قام عليه بناؤها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، صار سكان المدينة مجموعة من الأشتات المتفرقة والتي لا تمثل بنية واحدة من أي نوع، فبعد أن كانت حياة القبائل محكومة بضوابط صارمة تتحكم في تغير مراكز الأشخاص عبر مسيرة حياتهم بناء على معايير الجنس والسن ودرجة القرابة، تلاشت تلك المعايير تقريبا في المدن الصناعية المتقدمة وحلت محلها مقاييس اقتصادية وتعليمية وتقنية مختلفة تماما عنها**(النوري، 2001،ص 172).**

من غير الصواب أن نفهم " الحراك الاجتماعي " اليوم بمدينة ورقلة على أنه مرادف لتلك " الحركات الاحتجاجية لطالبي الشغل " والتي أصبحت مشهد مألوف في شوارعها، فيمكن اعتبار حراك طالبي الشغل جزء من الحراك الاجتماعي العام، والمعبر عن النمو بكل أبعاده الاقتصادية والحضرية .

بلغ عدد سكان مدينة ورقلة سنة 2017 ما يقارب 153301 نسمة ، في حين وصل عدد سكان الولاية ككل إلى 680266 نسمة في نفس السنة **(الدليل الإحصائي لولاية ورقلة ،2018 ، ،ص 12)** وتوسع عمراني بحضيرة سكنية قدرت بـ 32070 سكن، بالإضافة للمشاريع السكنية التي هي في طور الإنجاز ، جعل من المدينة التاريخية – القصر العتيق - مجرد حي صغير من أحياء مدينة ورقلة الجديدة .

إن الحركة التجارية والخدماتية الكبيرة التي تشهدها المدينة أضحت من أهم سمات حضريتها الجديدة، فقد بلغ عدد المسجلين في السجل تجاري 17408 إلى غاية سنة 2017 ، بالإضافة للعدد المعتبر من الذين يمارسون أنشطة تجارية وخدماتية بصفة غير رسمية، إن هذه المعطيات الكمية مؤشر على تغير النمط الاستهلاكي للمجتمع الورقلي، رغم بساطة الحياة التي كانت تعرف به المجتمعات الصحراوية بصفة عامة .

مـــــدينـة ورقلـــــة

المصدر: تطبيق غوغل الأرض google earth إصدار2019 ، الصورة من إرتفاع 3 كم .

إن مركزية المدينة الإدارية والاقتصادية بالنسبة لمدن الجنوب جعلها تتوفر على طبقة عمالية قدرت بـ 32082 موظف في مختلف القطاعات، وينشط ضعف هذا العدد في الأعمال الحرة والمهن اليدوية الغير مصرح بها إحصائيا.

يعد كذلك اندماج سكان المدينة في التعليم الرسمي من أبرز سمات الحضرية الجديدة للمدينة، ومن أهم العوامل التي غيرت البناء الاجتماعي التقليدي، فما نسبته 98.64 % بالنسبة للفئة العمرية الأقل من 15 سنة متمدرسين ، و 73.15 % بالنسبة للفئة العمرية مابين 16 – 19 سنة ، منهم 24582 تلميذ في الابتدائي و 16417 تلميذ في المتوسط ، و8144 تلميذ في التعليم الثانوي**(الدليل الإحصائي ، 2018 ، ص32).**

في تصنيف دولي للجامعات صدر سنة 2017 وهو تصنيف (uniRANK) احتلت جامعة ورقلة المرتبة الأولى (01) من بين ستة وستون (66) مؤسسة جامعية جزائرية، كما صنفت كذلك في المرتبة الأولى (01) مغاربيا، والواحد والثلاثون (31) عربيا والتاسع والثلاثون (39) إفريقيا ، واعتمد الإنتاج العلمي والنشر الالكتروني كأهم معايير للتصنيف .

تتوفر جامعة ورقلة على ثلاثة أقطاب جامعية و10 معاهد وكلية و 175 تخصص علمي في مختلف ميادين البحث العلمي ، ووصل عدد طلاب الجامعة في الموسم الجامعي 2018/2017 إلى 30425 طالب ، منهم 1561 طالب في طور ما بعد التدرج ، ويتخرج كل سنة مابين 5500 و6000 طالب **(https://www.univ-ouargla.dz/index.php/fr/toutes-les-/2018/4/7 actualites/item/3260-unirank.html).**

توفر هذه الجامعة يد عاملة مؤهلة في عدة تخصصات كالطب والمحروقات وبقية التخصصات الأخرى، بالإضافة لما تقدمه من نخبة مثقفة تساهم في تنمية المجتمع ثقافيا وحضاريا، من خلال مختلف الأنشطة المتعلقة بالتعليم العالي والبحث العلمي ، فهذا " الحراك العلمي " سمة أخرى من سمات الحضرية الجديدة للمدينة.

إن هذا الحراك الاجتماعي العام والذي شمل مختلف مجالات الحياة أعطى ملامح وسمات لحضرية جديدة هي في طور التشكل والتكوين، حضرية ترتبط كثيرا بالنسق العولمي في محتواها الاقتصادي ، ولم تفقد كليا بنائها الاجتماعي والثقافي التقليدي، فنسقها القرابي والولاءات والانتماءات القبلية لا يزالان يتمتعان بفاعليتهما في صنع الفعل الاجتماعي، وتتجلى بقوة في كل حدث سياسي، إن تواجد هذه المعطيات السابقة بمدينة صحراوية مؤشر قوي على حضرية جديدة هي في طور التكوين .

لقد أفرزت التحولات السوسيوثقافية لمدينة ورقلة في سيرورتها التاريخية نماذج ثقافية شكلت أنماط حضرية جديدة لم تكتمل بعد كل ملامحها وسماتها، بل هي في طور التشكل والتكوين، ويمكن أن نحدد أهم سمات هذه الأنماط كالآتي :

- **سمـــات النمـــط الحضري الجديد للمدينة التاريخية " القصر العتيق " :**

- المحافظة على النمط العمراني التقليدي باستثناء بعض الحالات.
- تلاشي النمط الاقتصادي التقليدي الذي يرتبط أساسا بالواحة، والاندماج في نسق اقتصادي جديد يعتمد على نظام العمل المأجور وبعض الأنشطة التجارية.
- فاعلية الروابط القرابية ، والولاء للانتماء القبلي .
- فقدان أعيان القبيلة وكبار السن لأدوارهم التقليدية المركزية .
- التحول في بعض الأدوار الاجتماعية ، ولعل أهمها اندماج المرأة في نظام العمل المأجور.
- الاستعمال الواسع للتكنولوجيا والطاقة الحديثة في مختلف مجالات الحياة .
- نمـــــو التوجهات التعليميـــة والمهنيـــــة .

- **سمـــات النمـــط الحضـري الجديـد للبـدو المتوطنين :**

- الاستقرار الكلي بالمدينة ، والزوال النهائي لنمط السكن التقليدي المتنقل " الخيمة " .

أ- لإقامة في تجمعات سكنية و التساكن على أساس قرابي، بالمجالات التي كانت سابقا محط رحالهم بضواحي المدينة التاريخية .

- الطابع الغير مخطط لهذه الأحياء " العشوائي " أفرز عدة مشكلات حضرية كصعوبة تهيئتها بالبنى التحتية والمرافق العامة .
- تلاشي النمط الأساسي لبنيتهم الاقتصادية التقليدية – تجارة القوافل – والاندماج في النسق الاقتصادي الجديد ، وتفضيل توجهات مهنية تنسجم مع قيمهم وتمثلاتهم حول العمل .
- التبعثر السكاني لبعض القبائل كالشعانبة وبني ثور في كل أحياء المدينة ، ومحافظة قبيلة المخادمة وسعيد عتبة على تركيبتهم السوسيومجالية .
- فاعلية الروابط القرابية والولاء للقبيلة بأنماط تنسجم مع الطبيعة " البراغماتية " للحياة في المدينة ، - كإعادة تشكيلها في الولاء لحزب سياسي مثلا - .
- نمـو التوجهات التعليمية والمهنية ، والاستعمال الواسع للتكنولوجيا والطاقة الحديثة، وتلاشي بعض الأدوار الاجتماعية لكبار السن وأعيان القبائل ، واندماج المرأة في سوق العمل .

سمـــات النمـــط الحضـــري للو افـــدين:

- الإقامة بالأحياء ذات التركيبة الاجتماعية المتنوعة ، كحي النصر " الخفجي " وحي سكرة ، وحي بوزيد وغيرها .
- الاندماج الكلي في النسق الاقتصادي الجديد، والعمل في مختلف الأنشطة التجارية والخدماتية ومختلف الوظائف والمهن الرسمية وغير الرسمية .
- الاندماج في المجتمع الورقلي العام، وتأسيس شبكة علاقات اجتماعية كعلاقات الجيرة والصداقة والزمالة في العمل ، وحتى علاقات الزواج والمصاهرة .
- عدم الانقطاع الكلي عن المناطق الأصلية لهم ، والاستقرار الكلي بمدينة ورقلة لغالبية الوافدين .

تشترك المجموعات الاجتماعية الثلاثة (الوراقلة ، البدو المتمدنين ، الوافدين) في الكثير من السمات الحضرية ، إلا أن لكل مجموعة خصائص في تشكيلها الحضري ، المرتبط بالعوامل السوسيو مجالية والعوامل الاقتصادية والثقافية التي تعرضنا لها في ماسبق.

إن هذا اللاتجانس في التركيبة الاجتماعية لمدينة ورقلة، وارتباطها بمجالاتها العمرانية ، جعل من " الهوية الاجتماعية " مشهدا حاضرا في المعيش اليومي، إن التنقل من حي إلى حي آخر يجعلك تشعر بتلك الحدود الاجتماعية والثقافية بين الأحياء، والتي هي حدود افتراضية ، وليست حدود فيزيائية، لا توجد حواجز محسوسة بينها ، وترتبط هذه الأحياء ببعضها في نسيج عمراني واحد ، فالتنقل من حي سعيد عتبة إلى القصر العتيق يشعرك وكأنك انتقلت إلى مدينة أخرى، وعلى بعد أمتار من القصر العتيق ستجد محطة التراموي، ليأخذك بعد دقائق إلى حي النصر " الخفجي " أين العدد الهائل من العمارات وتركيبة سكانية من مختلف ولايات الوطن ، شكلت لهذا الحي هوية حضرية و" سوسيو – مجالية " تشعرك وكأنك انتقلت لمدينة من مدن الشمال، ورغم هذا التنوع إلا أنه مجتمع متكامل اجتماعيا وثقافيا في إطار المجتمع الجزائري العام .

9.خـــاتمة :

إن سمات وملامح الأنماط الحضرية الحديدة لمدينة ورقلة تكشف لنا عن حضرية ذات خصوصية ترتبط بمحددتها السوسيومجالية التي عاشتها المدينة في تاريخها الحضري الطويل ، لسنا في حالة مدينة ورقلة أمام ما يعرف سوسيولوجيا بالهجرة الريفية نحو المدن ، إن التوطن الحتمي والغير اختياري للمجموعات البدوية أعطى لهم حضرية خاصة، لا تضعف بها العلاقات القرابية كما يحدث للريفيين المهاجرين إلى المدن ، بل هي رأس اجتماعي فاعل في حالة مدينة ورقلة ، ويعاد تشكيلها وفق آليات تنسجم مع الحياة الحضرية المعاصرة .

كذلك أعطى العدد الكبير للوافدين الجدد تنوعا اجتماعيا وثقافيا لمدينة ورقلة ، ولم تعد فرص العمل في الشركات البترولية العامل الوحيد لجذبهم واستقطابهم، بل إن مختلف القطاعات والمجالات تشهد اليوم بمدينة ورقلة دينامية كبيرة وواعدة ، مما جلب لها الكثير من الاستثمارات التي ستسهم في تنمية شاملة لهذه المدينة التي تستحق أن تكون فعلا عاصمة للجنوب الجزائري .

10. قائمة المراجع:

- **المؤلفات :**

1- النوري قيس ، (2001) : الانثروبولوجيا الحضرية بين التقليد والعولمة ، مؤسسة حمادة للطباعة والنشر ، ط 1 ، الأردن .

2- مارك كوت ، (2016): الجغرافيا المصغرة لمنطقة ورقلة ، ترجمة الهادي دادن ، منشورات جمعية الثقافة والإصلاح ، ط1 ، ورقلة.

3- الصغير علي حسن ، (2018) : التوافق البنيوي بين النسق القرابي والمجال العمراني ، قصر ورقلة ، الأشرف للكتاب ، الجزائر ، ط1.

4- حاجي عبد الرحمان ، (2011) : ورقلة تاريخ وحضارة ، ج 1 ، مطبعة دار الصحافة ، (دط)، ورقلة ، الجزائر.

5- الدليل الإحصائي لولاية ورقلة، (2018) ،مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية ، ورقلة .

6- تشارلز تلي ، (2005) : الحركات الاجتماعية ، تر ربيع وهبة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1 ، القاهرة ، مصر.

- **المراجع الأجنبية :**

ministere de la culture(2013) . *ouargla authenticite et elegance . cdsp edtions . alger .*

- **المقالات :**

خليفة عبد القادر، (2012) : حضرية مدن الصحراء الجزائرية ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 8 ،جامعة ورقلة.

- مواقع الانترنت :

ورقلة -*https://www.univ-ouargla.dz/index.php/fr/toutes-les-actualites/item/3260-unirank.html* يوم 2018/4/7.